الانحراف في فهم السنة النبوية

عند الجماعات المتشددة وأثره في عدم استقرار المجتمعات

إعداد

د. أيمن عيد عبد الحليم الحجار

دكتوراه في الحديث وعلومه – كلية أصول الدين القاهرة

مدير الشؤون العلمية بالجامع الأزهر الشريف

الانحراف في فهم السُّنة النبويةعند الجماعات المتشددة وأثره في عدم استقرار المجتمعات

أيمن عيد عبد الحليم الحجار
الشؤون العلمية بالجامع الأزهر الشريف، القاهرة، مصر
البريد الإلكتروني:Aymanalhgar2005@gmail.com

ملخص البحث:

يهدف البحث إلى تناول بعض المفاهيم الخاطئة بسبب عدم فهم الأحاديث فهمًا صحيحًا والتي يسببها المتطرفون - من جماعات العنف والتكفير كداعش وغيرها ممن اتخذ العنف منهجًا - وتعسفوا في فهم هذه الأحاديث وجمدوا على ظواهرها فأنتجت فكرًا معوجًا يحتاج إلى تقويم وتوضيح في وقت تواجه فيه الأمة خطرًا عظيمًا من هذه الفئات المتطرفة والتي تحتاج إلى مناقشة لأفكارهم الباطلة وتخرصاتهم الفاسدة؛ فلم يدرسوا العلم الشرعي دراسة عميقة متخصصة على أيدي العلماء أصحاب الرواية والدراية بل أخذوا معظم علومهم من صُحفٍ يدرسونها ، وكتب يقرؤونها، بلا وعي ولا فهم. وقد انتهى البحث إلى حصر أهم الروايات والأحاديث التي يستدل بها المتطرفون والتي أنتجت سلوكا وتصرفا يتناقض مع رحمة الإسلام وسماحته ولذا فإن إزالة اللبس وبيان الصواب لهذه الروايات بات أمرًا ضروريًا حتى لا يتفاقم الخطر. وهناك عدد من الأحاديث الأخرى التي تمثل فروعًا فقهية و ليست من الأصول الفكرية مثل استدلالهم على فرضية النقاب واللحية وهي مع كونها مسائل فقهية فرعية إلا أنها أصبحت جزءا من مفهوم التدين ، وقد صدرت عدة دراسات في بيان هذه المفاهيم مثل كتاب بيان للناس من الأزهر الشريف ، وفتاوى دار الإفتاء المصرية وغيرهما.

الكلمات المفتاحية: فهم السنة ، انحراف، جماعات، استقرار، المجتمع

Deviation in the understanding of the Sunnah of the extremist groups and its impact on the instability of societies

Ayman Eid Abdel Halim Al-Hajjar

Scientific Affairs at Al-Azhar Mosque, Cairo, Egypt

E-mail: Aymanalhgar2005@gmail.com

Abstract :

The research aims to address some of the misconceptions caused by the lack of understanding of hadiths caused by extremists - from violent and takfir groups such as ISIS and others who have adopted violence as a method – They arbitrarily understood these hadiths and froze their apparent meanings, so they produced a crooked thought that needs to be corrected and clarified at a time when the nation is facing a great danger from these extremist groups that need a discussion of their false ideas and corrupt speculations. They did not study the forensic science in a deep specialized study at the hands of the scholars who possessed the narration and the know-how. Rather, they took most of their sciences from the newspapers they study and the books they read, without awareness or understanding. The research ended with enumerating the most important narrations and hadiths that were inferred by extremists and that produced behavior and behavior that contradict the mercy and tolerance of Islam. Therefore, removing confusion and clarifying the correctness of these narrations has become a necessary matter so as not to exacerbate the danger. There are a number of other hadiths that represent fiqh branches and are not intellectual assets, such as their inference on the obligatory of the niqab and the beard, which although they are sub-doctrinal issues, but they have become part of the concept of religiosity. And the fatwas of the Egyptian Dar Al Iftaa and others.

Keywords: Understanding the Sunnah, deviation, groups, stability, society

تقديم

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين ورحمة الله للعالمين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد

فهذا بحث أتقدم به للمشاركة في هذا المؤتمر العلمي الذي تعقده كلية الشريعة والقانون بالقاهرة حيث أتناول فيه بعض المفاهيم الخاطئة بسبب عدم فهم الأحاديث فهمًا صحيحًا والتي يسببها المتطرفون - **من أبناء جماعات العنف والتكفير كداعش** وغيرها ممن اتخذ العنف منهجًا - وتعسفوا في فهم هذه الأحاديث وجمدوا على ظواهرها فأنتجت فكرًا معوجًا يحتاج إلى تقويم وتوضيح في وقت تواجه فيه الأمة خطرًا عظيمًا من هذه الفئات المتطرفة والتي تحتاج إلى مناقشة لأفكارهم الباطلة وتخرصاتهم الفاسدة؛ فلم يدرسوا العلم الشرعي دراسة عميقة متخصصة على أيدي العلماء أصحاب الرواية والدراية بل أخذوا معظم علومهم من صُحفٍ يدرسونها، وكتب يقرؤونها، بلا وعي ولا فهم، وقديمًا قالوا: «من كان علمه من كتابه كان خطؤه أكثر من صوابه، ومن لا شيخ له فالشيطان شيخه» .

كما أنهم لم يدركوا مقصد الشريعة، وغاب عن عقولهم مُدرك الفهم للنص الشرعي الذي أوحاه الله إلى رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قرءانًا وسنة .

فقد بعث الله رسوله وصفيه محمدًا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ برسالة داعية لمكارم الأخلاق، وجعل الرحمة عنوانًا لهذه الرسالة فقال: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً

لِلْعَالَمِينَ } [الأنبياء: ١٠٧]، وجعل ديمومة واستمرار قبول الناس لكلامه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يلتزم الرحمة والسماحة في خطابه، وأنه متى نزعت الرحمة من هذا الخطاب فذلك أمارة هجر الناس لهذا الخطاب وعدم انسجام هذا الخطاب مع الفطرة والإنسانية التي فُطر الإنسان وجُبل عليها قال تعالى: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ} [آل عمران: ١٥٩].

ومن بعده تحمل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ هذا المنهج النبوي في الدعوة ففهموا عن ربهم مراده في كتابه بما صبَّه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من معانٍ شريفةٍ في نفوسهم،ثم انحدر هذا الفهم إلى التابعين، فنشروا هذا النور الهادي حتى غطى ربوع الأرض شرقًا وغربًا؛ ففُتحت الدُّنيا بالكلمة الطيبة والدعوة باللين عن طريق المعاملات الصادقة والسجايا الحسنةٍ والتي تكشفت في سلوكهم ومعاملاتهم بالأمانة والصدق والإخلاص وحسن المعاشرة واللين وسلامة الصدر والمُسالمة والمسامحة والتعايش .

ولكن ظهرت فئة من الناس ضَلّ سعيُها، وقلَّ وَعيُها فهمت أحاديث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهمًا خاطئًا نتج عنه ما نشاهده من انحراف في السلوك؛ لأن العقل هو الموجه للسلوك والمراقب للأفعال، ومن هنا لم تكن كثرة المعلومات ولا الانتفاخ بإيراد النقولات هو الدال على صحة الفكر وسلامة القول من الخطل، فقد كان ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى واسع الاطلاع ولكن كما قال الصفدي رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى: علمه أكبر من عقله[1].

(١) فيض الباري ٦٣/٦

فابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى مع وفرة وعلمه وسعة اطلاعه وكثرة محفوظاته وشدة ذكائه أخفق في بعض المسائل العلمية والتي كان لها أثر في حدوث صراعات علمية في عصره تسببت في أذى كثير له.

- وقد قيلت هذه العبارة في أكثر من عالم تسرع في الفهم أو في إصدار الحكم- و هو يشير إلى أن السبيل الصحيح لضبط الفهم، وعدم الشطط في الفكر أن لا يخرج الإنسان عن العقل الجمعي للأمة وعدم الاغترار بكثرة المنقول مالم يصاحبه ضابط المعقول .

ومن هنا خرجت علينا هذه الجماعات والتيارات الفكرية المتطرفة بفهم سقيم لنصوص القرآن الكريم وسنة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حيث تقحموا على النص الشريف قرآنًا وسنة بدون أدوات علمية؛ لفهم هذه النصوص فحاولوا أن يفهموا هذه النصوص من غير هذه الأدوات من نحو وصرف وبلاغة ومن غير دراية لعلم أصول الفقه وعلوم القرآن وعلوم الحديث وغيرها من العلوم الخادمة للنص الشرعي فنتج عن ذلك تلك الأفكار السطحية والسموم الفكرية التي تحولت إلى عنف وقسوة وغلظة في التعامل مع الناس حتى صار الناس في قلق نفسي من التعامل مع المنتسبين إلى الدين وبدأت الاتهامات المتبادلة بين الناس وبين هذه التيارات المتطرفة ومن هنا قامت أفكار أخرى بالبحث عن السبب في هذا القلق فقائل بأن التراث هو السبب فنادوا بحرقه وإلقائه في سلة المهملات، ومن قائل بأن السبب في الدعاة أنفسهم، ومن آخر يحمل الأزهر المسئولية كاملة .

والسبب في هذا يرجع إلى اقتحام من لا علم عنده مجال العلم

واستباحته لحرمة الشرع بأن يُقحم عقله الذي لم يُسكب فيه شيء من العلم، فلم يعرف عنه أنه لازم العلماء فأخذ من فهومهم وتربى على منهجهم المنضبط في الفهم، لأن العالم الحق هو الذي يعطي للطالب الملكات والأدوات التي يستطيع أن يفهم بها النصوص فيعلمه كيف تصنع المسألة العلمية، وتاريخها وتطورها،وعلام استقرت المدرسة العلمية في فهمها، إن العالم الذي يقوم بهذا هو الذي ينبغي أن يُلقّب حقًا بالشيخ الفتَّاح وهو أحد أركان العملية التعليمية الصحيحة حيث قالوا: أدوات العلم أربع: «شيخ فتَّاح، وعقلُ رجّاح، وكتبٌ صحاح، ومداومةٌ وإلحاح »[1].

إن هؤلاء المنحرفين عن سبيل الجادة في الفهم يُسيئون للشَّرع كل يوم بتصرفاتهم الحمقاء وبأفعالهم الخرْقاء فقد شوهوا جمال الشرع الحنيف ونزعوا صورة الإحسان والرحمة التي ظل مدى هذه القرون يحملها ويصدر عنها، وقد دَرَج العلماء من أهل العلم المنضبط والفهم الصحيح يبدأون مع طالب العلم بحديث «المسلسل بالأولية » والذي يحث على الرحمة حيث يقول الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء »

يقول محمد بن عبد الحي الكتاني الكِتّاني: «وتداولته الأمة واعتنى به أهل الصناعة، فقدموه في الرواية على غيره ليتم لهم بذلك التسلسل كما فعلنا، وليقتدي به طالب العلم فيعلم أن مبنى العلم على التراحم والتوادد

(١) الفوائد المكية فيما يحتاجه طلبة الشافعية لعلوي أحمد السقاف : ص ٦٥، طبعة مؤسسة الرسالة ٢٠١٣م

والتواصل لا على التدابر والتقاطع، فإذا شبّ الطالب على ذلك شبت معه نعرة التعارف والتراحم فيشتد ساعده بذلك، فلا يشيب إلا وقد تخلق بالرحمة وعرف غيره بفوائدها ونتائجها فيتأدب الثاني بأدب الأول» .[1]

وقد نظمها بعضهم بقوله:

الراحمون لمن في الأرض يرحمهم ** من في السماء كذا عن سيّدِ الرسل

فارحمْ بقلبكَ خَلْقَ اللهِ وارعهمُ ** به تنالُ الرضى والعفوَ عن زللِ

******

ومن هنا جاءت فكرة هذه الورقات لبيان بعض الأحاديث المظلومة والتي أسيء فهمها مع أن الأمة قرأتها منذ قرون ولت وسنوات مرت و لم تفهم منها هذا الفهم السقيم الذي فهمه هؤلاء فأثرت في استقرار المجتمع، ولكن قبل أن أشرع في بيان هذه الأحاديث أذكر أولا سبب هذا الخلل الفكري في فهم النصوص

أسباب الخلل في فهم نصوص الحديث الشريف إجمالًا :

ومن أهم أسباب الخلل الناشئ في عقول هؤلاء المنحرفين والمتطرفين في الفهم ما يأتي:

١- انتزاع النص من سياقه وسباقه ولحاقه.

٢- عدم مراعاة المطلق والمقيد والعام والخاص في فهم النص الشرعي.

(١) فهرس الفهارس والأثبات : (١/٩٤)

٣- عدم مراعاة أسباب الورود للرواية .

٤- عدم معرفة دلالات الألفاظ لجهلهم المفرط بقواعد اللغة العربية وأساليبها وغياب الأدوات العلمية لفهم النص .

٥- الإغراق الشديد في التمسك بظاهر النص وعدم النظر في فحواه لجهلهم بعلم الأصول .

٦- عدم مراعاة المقاصد الكلية التي جاءت بها الشريعة .

٧- النظرة السقيمة للشرع بأنه كلما كانت المشقة على الناس كلما كان ذلك أرجى للقبول، مع أن صاحب الشرع الحنيف أمر بالتيسير وعدم التشديد على الناس وكان من قواعد الشريعة أن الأمر كلما ضاق اتسع وأن المشقة تجلب التيسير وأن من ابتلي بشيء فليقلد من أجاز وأن الساجد قبل المساجد والإنسان قبل البنيان، .

٨- تحويل القضايا الظنية إلى قضايا قطعية لا تقبل الخلاف .

٩- عدم التفرقة بين الخلاف المعتبر والرأي الشاذ .

١٠- الانتقائية في جمع النصوص والمسائل والاختيارات الفقهية.

١١- الخلط بين المطلق والنسبي وجعل أحدهما مكان الآخر.

١٢- نقل بعض المسائل الفقهية من ساحة الاختلاف الفقهي إلى ساحة العقائد التي لا تقبل نقاشًا مثل: قضية التوسل، والصلاة في المساجد التي بها أضرحة .

١٣- عدم النظر إلى مآلات الأفعال ومراعاة الواقع الذي نعيشه .

١٤- تطبيق الجرح والتعديل الخاص برواة الحديث على المعاصرين من العلماء واتخذوا من هذا سبيلا للسب والطعن .

وترتب على هذه الأسباب عدة نتائج:

١- احتكار الفهم الصحيح وتسفيه الأقوال المخالفة لمنهجهم ووصفها بالانهزامية والخور .

٢- سوء تنزيل النصوص على غير وجهها .

٣- التعميم في الحكم وإصدار الأحكام الجزافية على المخالفين لهم في المنهج الفكري المختل بالبدعة والفسق والإرجاء والميل للسلطان وغير ذلك.

٤- الانتهاض لمجرد الرد والاعتراض على أي فهم آخر فتجد الردود الهائلة على كتب العلماء والأئمة قديمًا وحديثًا من غير مراعاة للقواعد العلمية؛ بهدف أن يحصل تصور ذهني لكل التابعين لهم أن هذه الأفكار المخالفة قد قاموا بالرد عليها .

٥- الروح العدوانية المسبقة في قراءة وفهم النص الشرعي فتراه يختار من الفهم أشده وأعقده وأعسره .

٦- سوء الظن بالعلماء من خلال الدخول في النوايا وتفسير المراد حسب هواهم لتشويه صورة العالم لا سيما إن كان أزهريًا أو وسطيًا حتى لا

تقوم لهم قائمة[1] .

٧- التفرق في الدين مما يؤول إلى افتراق المسلمين وتوزيعهم إلى شيع وأحزاب كل حزب بما لديهم فرحون .

٨- وجود حالة من الفوضى في الفتاوى وذلك لقلة الفقه في الدين وعدم النضوج العقلي ويتصدر مجلس العلم والفتوى من ليسوا أهلا له .

٩- الاستخفاف بمكانة العلماء ودورهم في المجتمع .

١٠- تشويه صورة الإسلام بالتعصب والتطرف فالمطلوب من المسلمين جميعا أن يعطوا صورة مشرفة عن الإسلام من غير إفراط ولا تفريط.

١١- الإغراق الشديد في الجزئيات وعدم النظر في الكليات وتقييم الناس بالنظرة السطحية من حيث الملبس والهيئة الظاهرة، فإذا رأى أزهريًا حكم عليه بأنه قبوري، وإذا رأى شخصا بدون لحية حكم عليه بأنه من المبتدعة .

* هذه هي أهم منطلقات هذا الفكر وأسباب الخطأ في فهم النصوص عند الجماعات المتشددة،حيث تم تناول هذه الموضوعات بصورة يحكمها الحماس الشديد من غير جمع للنصوص الواردة في الباب الواحد والذي من خلاله تفهم الصورة الكاملة والشاملة لهذه القضايا، كما أن هذه القضايا حصل فيها اختزال للآراء الكثيرة في المسألة وتشبث برأي واحد وتبنيه والمقاتلة من أجله وتوريثه لمن بعده، وتسفيه ما عداه من آراء، حتى إنك

(١) المصدر السابق : ١٣

ترى الموضوع الذي تعالجه الآن قد طُرح بنفس الصورة منذ سنوات كثيرة بسبب هذا التوريث الخاطي لهذه المفاهيم المنحرفة .

ومن هنا كان لابد للناظر في النص الشريف قرآنًا وسنة أن يكون على وعيٍ وبصيرةٍ بكل ما تقدم من أسباب الخلل حتى لا يقع في سلسلة من الأخطاء الفكرية، و حتى يستطيع أن يفهم النص على مراده الصحيح، وإلا أنتج هذا الفهم خطابًا يمتلئُ بالصَّخب والضّجيجِ والتَّكفيرِ والتَّبديع والتَّفْسيق، والخروج على الحُكَّام بالسِّلاح، وهدمِ الأوْطان، والتَّخريب والقتْل وسفك الدِّماء واتخاذ هذا المسْلك المُدمِّر دِينًا وشَرْعًا ويظن صاحبه أنه بذلك يسعى في مرضاة ربه وأنه يجاهد في سبيله، فيضيع ضحية هذا الفهم السقيم نفوس بريئة ومن هنا كان من الواجب على الباحثين والدعاة والعلماء أن يُصحِّحوا تلك المفاهيم وأن يُقوِّموا هذا الفهم السَّقيم والذي ينبغي أن يعلم أن تقويم هذه الأفكار لا يكون إلا بالأفكار الصحيحة التي تُزيل هذا اللَّبس وتُوضح المُشكل في الأذهان

والله الموفق والمعين والهادي إلى سبيل الرشاد إنه جواد كريم .

المبحث الأول

أهم ملامح التطرف الديني من قبل الجماعات المتشددة نتيجة الفهم السقيم للأحاديث النبوية

١- **التكفير:**

وهي آفة خطيرة وقعت فيها التيارات الفكرية إثر الكلام في قضية الحاكمية، وهذا الفهم مخالف لما عليه جماهير العلماء في تفسير هذه الآية فقد قال حجة الإسلام الغزالي قلنا المراد به: ومن لم يحكم بما أنزل الله مكذبا به وجاحدا له.(١)

وقال أيضا: والذي ينبغي أن يَميل المحصِّلُ إليه: الاحترازُ من التكفير ما وَجَدَ إليه سبيلًا؛ فإن استباحة الدماء والأموال من المصلّين إلى القِبلة، المصرّحين بقول: «لا إله إلا الله، محمد رسول الله» = خطأ، والخطأُ في ترك ألْفِ كافرٍ في الحياة أهونُ من الخطأ في سفك مِحْجَمةٍ من دمِ مسلمٍ.

التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (١٧/ ٢١)

قِيلَ لِجَابِرِ بن عَبْدِ اللَّهِ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ هَلْ كُنْتُمْ تُسَمُّونَ شَيْئًا مِنَ الذُّنُوبِ كُفْرًا أَوْ شِرْكًا أَوْ نِفَاقًا قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ وَلَكِنَّا نَقُولُ مُؤْمِنِينَ مُذْنِبِينَ رُوِيَ ذَلِكَ عَنْ جَابِرٍ مِنْ وُجُوهٍ وَمِنْ حَدِيثِ الْأَعْمَشِ عَنْ أَبِي سُفْيَانَ قَالَ قُلْتُ لِجَابِرٍ أَكُنْتُمْ تَقُولُونَ لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ كَافِرٌ قَالَ لَا قُلْتُ فَمُشْرِكٌ

(١) المستصفى لأبي حامد الغزالي .ص :٢٢

التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٢٣/ ٣٣٥)

عن علي بمعنى واحد أنه سئل عن أهل النهروان أكفارهم قال من الكفر فروا، قيل فمنافقون هم قال إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلا، قيل فما هم قال قوم أصابتهم فتنة فعموا فيها وصموا وبغوا علينا وحاربونا وقاتلونا فقتلناهم.

وهذه المشكلة أصبحت فاشية بين التيارات المتشددة فكلما خالفهم واحد في الاعتقاد أو في الفهم اتهموه بالكفر وهذا بسبب انحرافهم في فهم القرآن الكريم ودخول الأهواء في تفسير النص الشرعي بدون التمكن من الأدوات العلمية .

٢- **المفهوم الخاطئ لمصطلح الجهاد:**

حيث فهم المتطرفون هذا المفهوم خطأ أن **الجهاد هو المبادرة بالقتل، و سفك الدماء، وقطع الرقاب، وترويع الآمنين، وتهجير الناس، وسبي النساء، ونقض العهود والمواثيق، ونشر الفزع** فهذا هو الفهم المعوج والفكر السقيم. **وقد شرع الجهاد لرد العدوان والاعتداء والحفاظ على الأرض، وللمحافظة على العهود والمواثيق.**

فلم يفهم المتطرفون المقصود من تشريع الجهاد وظنوا أنه دعوة لإشاعة القتل وإراقة الدماء لكل من خالف في الاعتقاد وقتل السائحين الذين جاءوا إلى بلادنا بحجة أنهم غير مؤمنين وأنه يجب جهادهم وهذا الفهم لم يأت به شرع ولا دين بل هو خلل في الفهم.

وبدلا من التركيز على تعليم الناس تعاليم الإسلام الصحيحة أخذوا

يسعون في الأرض فسادًا بهذه المفاهيم المنحرفة.

وقد اعتمدوا في ذلك على عدة أحاديث منها:

• حديث ابْن عُمَرَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الإِسْلاَمِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ»[1]

ففهموا من هذا الحديث الأمر ببدء القتال لكل من لم يؤمن بالله تعالى وقتل كل من يخالفنا في الاعتقاد حتى يؤمن فإن آمن حقن دمه وإلا قتل بالسيف .

وقد نتج عنه تلك الأعمال الإجرامية والإرهابية في دول أوروبا وغيرها بل وفي الدول العربية بالاعتداء السافر على المسيحيين الذين يعيشون مع المسلمين في وطن واحد آمنين، وكذا الاعتداء على السياح الأجانب وهم من المستأمنين بموجب تأشيرة الدخول إلى بلادنا .

والحديث هذا قرأه العلماء عبر العصور الخالية ولم ينتج عندهم هذا الفهم السقيم حيث فهمه العلماء في ضوء النصوص الأخرى فلم يحصل عندهم هذا التشهي للقتل والاعتداء على الآخر وإن كان غير مُسْلِم بل المسلم من سالم الناس كما في الحديث و(الناس) هنا عامة تشمل المسلم وغير المسلم فالجميع في الإسلام محفوظ الدم معصوم محترم لآدميته وإنسانيته وقد قام النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في جنازة يهودي احتراما للإنسانية.

(١) متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه (٢٥)، ومسلم في صحيحه (٢٢) .

٣- **تضخيم القضايا الفرعية وجعلها من الأصول:**

وهذا ظاهر في عدد من القضايا الفكرية والعلمية والتي ما إن تطالع كتب هذه الفرق والتيارات المتشددة إلا وتجد أن كثيرا من المسائل الفرعية تحولت عندهم إلى قضايا كلية فاللحية والنقاب فرض مثل الصلاة .

٤- **التمحور حول قضايا بعينها** مثل الصلاة في المساجد التي فيها قبور، السبحة، حكم الاحتفال بالأعياد القومية، تهنئة غير المسلمين في الأعياد، التوسل بالنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، مفهوم البدعة الخاطئ لمحاربة كل ما هو جديد، نقد التصوف، نقد الأزهر الشريف واتهامه بفساد العقيدة وتمييع الدين .

٥- **التمحور حول شخصيات وأحزاب وجماعات بعينها.**

وهذه ظاهرة موجودة بصورة فجه فترى هذه التيارات تتمحور حول أشخاص بعينهم وكل واحدة منها لها الملتفون حولها المبررون لأخطائها المدافعين عن مبادئها .

كما أنك تراهم يتمحورون حول أسماء بعينها من القديم والحديث.

٦- **الفتاوى الشاذة** والخروج على جمهور العلماء بهذه الفتاوى المضللة والتي تميل إلى التحريم لكل ما هو جديد والتشدد في الأحكام والفتاوى والنوازل وهم بذلك يخالفون قول الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه» [(١)]

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٥٨٦٦)

٧- **عدم مراعاة الأولويات والمآلات** فتراه يجمد على فتوى ولا يتزحزح عنها مع أن الظرف التاريخي كان سببا فيها، وقد تغير الحكم فيها بسبب الظروف والمستجدات العصرية مع أن المسألة لا تحتمل كل هذا الجمود ولا ذلك الصمود في وجه كل مخالف له في الرأي .

٨- **حمل السلاح والتفجير والتخريب،** والرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: من حمل علينا السلاح فليس منا [١]

وقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض [٢]

٩- **عدم الإيمان بثقافة الاختلاف** .

فهم دائما لا يريدون أن يكون هناك رأي آخر في المسألة العلمية أو القضية الفقهية فلابد من الأخذ بالرأي الذي اختاروه، وأن كل مخالف لقولهم فقد خالف الكتاب والسنة الصحيحة وأن الأخذ بالمذاهب الأربعة مخالف للصواب فالأفضل أن نأخذ من الكتاب والسنة مباشرة فهؤلاء رجال ونحن رجال .

(١) أخرجه البخاري (٦٨٧٤)، ومسلم (٩٨) عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٢) أخرجه البخاري (٧٠٧٧) ، ومسلم في صحيحه (٦٦) عن ابن عمر

تنبيه مهم

الروايات والأحاديث التي استدل بها المُتطرِّفون وأصحاب المناهج الفكرية المنحرفة تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول: أحاديث صحيحة ولكن قصَر هؤلاء فهم هذه الروايات على معنى خاطئ، فالمشكلة هنا ليست في الرواية حيث قبلها العلماء، وفهموا منها معنى صحيحًا لم يُحدث أي تشويش فكري أو فهم سلبي يؤدي بعد ذلك إلى مخاطرَ فكريةٍ أو سلوكية .

ولذلك نبَّه العلماء إلى ضرورة الجمع بين الفقه والرواية وفي هذا يقول شعبة: «**حديث يتداوله الفقهاء خير من حديث يتداوله الشيوخ** ».

القسم الثاني: أحاديث ضعيفة ضعفها المحدثون، وأنكروا على من استدل بها، وكان الإمام الذهبي من أكثر العلماء تنبيهًا على هذا كما سنعرض في الردود التفصيلية بإذن الله تعالى .

وقد حاولت تنويع أقوال العلماء حتى يرى القارئ بعينيه أن هذا هو المنهج المستقر عند كافة العلماء وليس رأيًا شاذًا لأحد العلماء فمن أجل ذلك حاولت أن لا أنقل عن أمام بعينه في القضايا والموضوعات المطروحة في البحث .فستجد كلام الأئمة (النَّووي، والقاضي عياض، وابن فُورك، وابن المُلقن، وابن حَجَر، والعَيْني، والسُّيوطي، ومُلّا علي القاري، والصَّنعاني، وغيرهم) .

المبحث الثاني

نماذج لبعض النصوص التي فهمت خطأ وتسببت في عدم الاستقرار المجتمعي

١٠- أحاديث الجهاد في سبيل الله تعالى:

- منها: حديث عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " تَسْمَعُونَ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، أَمَا وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِالذَّبْحِ "[(١)].

- **الفهم الخاطئ:**

استدلوا به على قطع الرؤوس وذبح الأسرى بصورة وحشية وأن ذبح المخالف في الاعتقاد مقصد شرعي، وهذا فهم سقيم يهدم ولا يبني، يدمر الأفراد والمجتمعات إذا سرى بين الشباب الذي يستغل المتطرفون حماستهم وحبهم للدين .

- **الفهم الصحيح:**

١- هذا الحديث فَهمه علماء الحديث والسير فهمًا صحيحًا منضبطًا وفق القواعد والأصول العامة التي جاءت بها الشريعة السمحة، ولم يَفهم أحدٌ منهم ما فهمه أصحاب الفهم المعوجّ من تشويه لمعالم الرحمة

(١) أخرجه أحمد (٧٠٣٦) ، وابن حبان في صحيحه (٦٥٦٧) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص .

والهداية التي جاءت بها الشريعة الغراء، وقد ادعوا كذبًا أن الدين جاء حربًا على العالم لينتشر تحت ظلال السيوف، والحق أن الدين جاء رحمة وراحة للخلق، فقد جاء ليجمع لا ليفرق، و لينشر الخير لا ليفتح أبواب الفتن والشر.

وإليك بيان معنى هذا الحديث وتوجيهه:

- **أولا**: أنَّ هذا الحديث بهذا اللفظ «**جئتكم بالذبح**..» لم يُخرِّجه أحدٌ من عُلماء الحديث في باب «**الجهاد والسّير**» ؛ بل أوردوه في باب اشتداد الأذى على رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وما لاقاه النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ من أذى قومه، مما يدل على أنه ليس من الأصول التي يؤخذ بها في أحكام الجهاد، وإنما جاء في سياق خاص لبيان ما لاقاه الرسول صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ من عنت وإيذاء.

فقد أخرجه ابن حبان في صحيحه (ترتيب ابن بلبان) (٦٥٦٧/١٤): في باب ذكر بعض أذى المشركين رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، عند دعوته إياهم إلى الإسلام.

وبوَّب عليه الهيثمي في «مجمع الزوائد»، باب تبليغ النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ ما أرسل به وصبره على ذلك (١٤/٦)، وأورده الطبري في «تاريخ الرسل والملوك » (٢٩٨/٢): ذكر الخبر عما كان من أمر نبي الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ عند ابتداء الله تعالى ذكره إياه بإكرامه بإرسال جبريل إليه بوحيه.

وبوّب عليه أبو نعيم الأصبهاني في «دلائل النبوة» (ص: ٢٠٨): باب

دعائه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على مشيخة قريش.

وأخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٢/٢٧٤): وعنون له قائلًا: باب **ذكر ما لقي رسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ **وأصحابه** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ **من أذى المشركين حتى أخرجوهم إلى الهجرة وما ظهر من الآيات بدعائه على سبعة منهم ثم بوعده أمته خلال ذلك ما يفتح الله** عَزَّوَجَلَّ **عليهم وأنه يتمم هذا الأمر لهم ثم كان كما قال.**

- **ثانيًا**: أنَّ هذه الكلمة جاءت في سياق خاص، حيث جاءت في سياق الكلام على إيذاء قريش للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقد قام عُقْبَةُ بن أَبِي مُعَيْطٍ بربط ردائه في عنق النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكاد أن يتردى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مقتولًا كما جاء في بعض الروايات، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذه الكلمة مشيرا إلى أن صنيعهم هذا مآله إحداث قتل وسيكون مصير هؤلاء الذين أثاروا هذه الفتنة القتل والهلاك.
- **ثالثًا**: أنَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قصد بهذه اللفظة أشخاصًا بعينهم وهم صناديد قريش الذين **ذكروا** في الروايات والذين سعوا في إيذاء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأوغروا صدور القبائل نحو النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، واتهموه بالسحرو الجنون، وآذوا أصحابَه فعذّبوا بلالًا في الرمضاء بلا رحمة ولا شفقة، وقتلوا سُميّة بنت خياط فضربت في موطن عفتها فماتت، وعذب زوجها وابنها، ووصل الأذى إلى الضعفاء والعبيد واشتدّ بهم الأذى[1]، فكان خطاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لهؤلاء الصناديد، ولم يَقصد

(١) يراجع: الطبقات الكبير لابن سعد (٤/١٢٧)، أسد الغابة (٣/٦٢٨).

بقوله هذا عموم المشركين، ففي هذه الروايات خاطبهم النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بقوله: «**يا معشر قريش**...»، ولذا كان الخطاب خاصًا برؤسائهم، أما أن يُحمل المعنى على عموم المشركين فسياق النص لا يحتمله و الواقع لا يؤيده.

ومما يؤكد أنه أراد بذلك أشخاصًا بعينهم ما جاء في رواية الخطيب البغدادي: «**إِنَّ هَؤُلاءِ الَّذِينَ تَرَوْنَ مِمَّنْ يَذْبَحُ الله بِأَيْدِيكُمْ عَاجِلًا، ثُمَّ انْصَرَفْنَا إِلَى بُيُوتِنَا، فَوَالله لَقَدْ رَأَيْتُهُمْ قَدْ ذَبَحَهُمُ الله بِأَيْدِينَا**»[1].

وكما ورد في رواية الصحيحين: «اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِأَبِي جَهْلٍ، وَعَلَيْكَ بِعُتْبَةَ بن رَبِيعَةَ، وَشَيْبَةَ بن رَبِيعَةَ، وَالوَلِيدِ بن عُتْبَةَ، وَأُمَيَّةَ بن خَلَفٍ، وَعُقْبَةَ بن أَبِي مُعَيْطٍ- وَعَدَّ السَّابِعَ فَلَمْ يَحْفَظْ- قَالَ: **فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَدْ رَأَيْتُ الَّذِينَ عَدَّ رَسُولُ الله** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **صَرْعَى، فِي القَلِيبِ قَلِيبِ بَدْرٍ**».

فقوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ واضح وصريح في أنه يقصد بهم هؤلاء الذين آذوه من رؤساء قريش وصناديدهم فقط، ولا يقصد عموم الناس، ولذلك جاء في **الرواية الثانية**: أنه لما اطلع على مقتل أبي جهل حمد الله قائلًا: « **الحمد لله الذي أنجزني ما وعدني** ».

٢- وقوله في الرواية الأخرى «**وأنت من ذلك الذبح**» يدل على أن الأمر خاص بفئة دون عموم قريش

٣- **رابعًا**: أن البخاري تحاشى في صحيحه ذكر الرواية التي جاءت بهذا

(١) تلخيص المتشابه في الرسم (١/١٤).

اللفظ «جئتكم بالذبح»، ولعله يرى أنها لم تصل إلى أعلى درجات الصحة، أو لأمر آخر، ولكنه أخرج أصل القصة دون هذا اللفظ!!

٤- **خامسًا**: أنَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال هذه الكلمة تهديدًا لهم لما رأى من سخريتهم واستهزائهم به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والاعتداء عليه بالخنق حتى كادت أن تزهق روحه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فخرجت هذه الكلمة على سبيل الردع لهم بأنهم إن لم ينتهوا عما يفعلون فستكون الهلكة مصيرهم، ولغة العرب تستعمل هذه الكلمة للتحذير والتخويف، فقد ذكر ابن الأثير في «النهاية في غريب الحديث والأثر»، في مادة « ذبح » في حديث القضاء «مَنْ وَلِيَ الْقَضَاءَ فَقَدْ ذُبِحَ بِغَيْرِ سِكِّينٍ»[(١)]، بأنّ معناه: التحذير من طلب القضاء والحرص عليه، أي:من تَصدّى للقضاء وتولّاه فقد تَعرض للذبح فليحذره. و «**الذبح**» **هاهنا مجاز عن «الهلاك»، فإنه من أسرع أسبابه. وقوله بغير سكين يحتمل وجهين: أحدهما** أن الذبح في العرف إنما يكون بالسكين فعدل عنه ليعلم أن الذي أراد به ما يخاف عليه من هلاك دينه دون هلاك بدنه.

٥- **وهذه الكلمة قد يستعملها الإنسان ولا يقصد بها غير التهديد كما إذا حذّر الوالد** ولده **قائلًا له: إن لم تفعل هذا لأذبحنك . وهو لا يقصد ذلك على الحقيقة بل يقصد تهديده بذلك حتى يرتدع.**

(١)أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الأقضية باب من طلب القضاء (٣/٢٩٨ح ٣٥٧١)، والترمذي في جامعه، أبواب الأحكام، باب ما جاء عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في القاضي (٣/٧ح ١٣٢٥) وقال هذا حديث حسن غريب، وابن ماجه في السنن، كتاب الأحكام باب ذكر القضاة (٢/٧٧٤ح ٢٣٠٨) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٦- **والثاني**: أن الذبح الذي يقع به راحة الذبيحة وخلاصها من الألم إنما يكون بالسّكين، فإذا ذبح بغير السكين كان ذبحه تعذيبًا له، فضرب به المثل ليكون أبلغ في الحذر وأشد في التوقي منه[١].

٧- **ولذا فإن مشيخة قريش فهموا معنى التهديد من هذه الكلمة وهم يُصدّقونه في أنفسهم ويُكذّبونه بألسنتهم، فلم يعنفوه أو يردوا عليه هذه الكلمة، بل عاملوه بلطف بعد هذه الكلمة؛ مما يدل على أن لها وقعًا شديدًا في نفوسهم**، وهناك مواقف كثيرة مثل هذا الموقف تبين مهابة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في نفوسهم مع الاستضعاف الشديد والأذى الكبير له ولأصحابه.

٨- من هنا فلم يكن المقصد هو التوعد بقتل المخالف في الاعتقاد، ولو كان هذا مقصودًا لفعله رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حينما واتته الفرصة في فتح مكة بعد قوة الشوكة، وتأسيس الدولة.

٩- وذكر ابن عبد البر في «**الاستيعاب**» [٢]: «... كان سعد بن معاذ سيدًا لأوس، وسعد بن عبادة سيدًا لخزرج، فشاورهما في ذَلِكَ، فقالا: يَا رَسُولَ الله، إن كنت أمرت بشيء فافعله وامض له، وإن كان غير ذلك فوالله لا نعطيهم إلا السيف. فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لم أُومر بشيء، ولو أمرت بشيء ما شاورتكما، وإنما هو رأي أعرضه عليكما. فقالا: والله يا رَسُول الله ما طمعوا بذلك منا قط في الجاهلية، فكيف

(١) النهاية في غريب الحديث (٢/١٥٣).

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب: (٢/ ٥٩٧).

اليوم؟ وقد هدانا الله بك وأكرمنا وأعزَّنا، والله لا نُعطيهم إلا السيف. فَسُرَّ بذلك رَسُول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ ودعا لهما، وَقَالَ لعُيَيْنة بن حِصْن ومن معه: ارجعوا، فليس بيننا وبينكم إلا السيف، ورفع بها صوته. وكانت راية رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ يوم الفتح بيد سعد بن عبادة، فلما مر بها على أبي سفيان- وكان قد أسلم أبو سفيان- قَالَ سعد إذ نظر إليه: اليوم يوم الملحمة. اليوم تستحل المحرمة اليوم أذل الله قريشًا، فأقبل رَسُول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ في كتيبة الأنصار، حتى إذا حاذى أبا سفيان ناداه: يَا رَسُولَ الله، أمرت بقتل قومك؟ فإنه زعم سعد ومن معه حين مر بنا أنه قاتلنا. وَقَالَ: اليوم يوم الملحمة، اليوم تستحل المحرمة، اليوم أذل الله قريشا. وإني أنشدك الله في قومك، فأنت أبر الناس وأرحمهم وأوصلهم.

١٠- وَقَالَ عثمان، وعبد الرحمن بن عوف: يا رَسُول الله، والله ما نأمن مِنْ سعد أن تكون منه في قريش صولة. **فَقَالَ رسول الله** صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: **لا يا أبا سفيان، اليوم يوم المرحمة، اليوم أعز الله قريشًا** »[1].

١١- ففي هذه الرواية التي نقلها الإمام ابن عبد البر أنه لما سَمع صحابيًا جليلًا يقول: هذا يوم الملحمة قال النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: « **اليوم يوم المرحمة** ».

١٢- فأين الذبح إذن؟ وهو قادرعلى أن يُعمِل فيهم السيف وقد ناله الأذى الشديد هو وأصحابه الكرام.

(١)الاستيعاب لابن عبد البر (٢/٥٩٧)، وعيون الأثر لابن سيد الناس (٢/٢٢٣).

١٣- وفي رواية البخاري[١]: فقال سعد بن عبادة: يا أبا سفيان، اليوم يوم الملحمة، اليوم تُستحل الكعبة، فقال أبو سفيان: يا عباس حبذا يوم الذمار[٢]، ثم جاءت كتيبة، وهي أقل الكتائب، فيهم رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وأصحابه، وراية النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ مع الزبير بن العوام، فلما مر رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ بأبي سفيان قال: ألم تعلم ما قال سعد بن عبادة؟ قال: «ما قال؟» قال: كذا وكذا، فقال: «كذب سعد، ولكن هذا يوم يعظم الله فيه الكعبة، ويوم تُكسى فيه الكعبة».

١٤- فكان يوم فتح مكة دعوة صريحة من النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ لنشر العمران وبناء الإنسان وتزيين وكساء الكعبة لا دعوة للقتل وسفك الدماء والهلاك.

(١)أخرجها البخاري في كتاب المغازي، باب: أين ركز النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ الراية يوم الفتح؟ (١٤٧/٥ ح ٤٢٨٠).

(٢)يوم الذمار: يُرِيدُ يوم الحرْبَ؛ لأَنَّ الإِنْسانَ يُقاتِل عَلَى مَا يلزَمُه حِفْظُه فيها: « النهاية في غريب الحديث والأثر » بتصرف: (٢/ ١٦٧).

الحديث الثاني

١- حديث ابْن عُمَرَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الإِسْلاَمِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ»[1]

الفهم المنحرف:

فهموا من هذا الحديث الأمر ببدء القتال لكل من لم يؤمن بالله تعالى وقتل كل من يخالفنا في الاعتقاد حتى يؤمن فإن آمن حقن دمه وإلا قتل بالسيف ولا كرامة .

وقد نتج عن هذا الفهم المنحرف تلك الأعمال الإجرامية والإرهابية في دول أوروبا وغيرها بل وفي الدول العربية بالاعتداء السافر على المسيحيين الذين يعيشون مع المسلمين في وطن واحد آمنين، وكذا الاعتداء على السّياح الأجانب وهم من المستأمنين بموجب تأشيرة الدخول إلى بلادنا .

الفهم الصحيح:

١- وهذا الحديث قرأه العلماءُ عبر العصور الخالية ولم ينتج عندهم هذا الفهم السقيم حيث فهمه العلماء في ضوء النصوص الأخرى فلم يحصل عندهم هذا التشهي للقتل والاعتداء على الآخر وإن كان غير مُسْلِم .

(١) متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه (٢٥)، ومسلم في صحيحه (٢٢) .

كما أن هذا الحديث استشكلته بعض عقول الطاعنين في السنة النبوية وفهموا منه أن الإسلام انتشر بالسيف!!!!

والمعنى الصحيح لهذا الحديث لا يفهم منه هذا ولا ذاك .

٢- والحديث إذا جمعت طرقه ورواياته تبين أن هذا الإستشكال لا محل له، وأن هذا الفهم الخاطئ لا أساس له، فقد أخرج الإمام أحمد في مسنده من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " **أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَإِذَا قَالُوهَا، عَصَمُوا مِنِّي بِهَا دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ، إِلَّا بِحَقِّهَا، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ** "، **ثُمَّ قَرَأَ فَذَكِّرْ: {إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ}**(١).

فانظر إلى هذه الرواية حيث اشتملت على زيادة مهمة تبين معنى الحديث وهو قوله:« **ثُمَّ قَرَأَ فَذَكِّرْ: {إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ}**». لتبين أن الأمر هنا في الحديث لا يفهم منه أبدًا الأمر بمقاتلة الناس وحملهم على الإسلام حملاً ومغالبتهم حتى يقولوا كلمة التوحيد، بل ما فهمه سيدنا جابر بن عبد الله أن المقصود بذلك مقاتلة المعتدين بدليل هذه الآية أن مهمتك يا رسول الله التذكير فقط ولست مأمورا بأن تحمل الناس بالقوة على الإيمان .

٣- ونقل ابن كثير عن الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى سبب ورود هذا الحديث فقال: إنما منع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من قتل المنافقين ما

(١) أخرجه أحمد في مسنده : (٢٢/ ١١٩ /ح ١٤٢٠٩)

كانوا يظهرونه من الإسلام مع العلم بنفاقهم؛ لأن ما يظهرونه يجب ما قبله. ويؤيد هذا قوله، عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، في الحديث المجمع على صحته في الصحيحين وغيرهما: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله، عَزَّوَجَلَّ» (٢) . ومعنى هذا: أن من قالها جرت عليه أحكام الإسلام ظاهرًا، فإن كان يعتقدها وجد ثواب ذلك في الدار الآخرة، وإن لم يعتقدها لم ينفعه في الآخرة جريان الحكم عليه في الدنيا. اهـ

٤- **ثم إن قول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمرت أن أقاتل الناس، هل (أل) في قوله:(الناس)للعهد أم للجنس ؟، والراجح أنها للعهد أي لمجموعة معينة من الناس وهم صناديد قريش ممن يحاربون الدعوة دل على هذا ما سقناه من الروايات السابقة .**

٥- وأنقل إليك أيها القارئ كلام العلامة البوطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى حيث يقول: «.... ولابد أن أبدأ أولًا فأسأل أصحاب هذه الشبهة: أفقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمرت أن أقتل الناس أم قال أمرت أن أقاتل ..؟ ومعلوم أن نص الحديث في كل الروايات أمرت أن أقاتل، وعندئذ نتساءل: أبين كلمتي أقتل وأقاتل فرق في المعنى أم لا ؟

والجواب الذي يعلمه من له أدنى بصيرة باللغة العربية هو أن بين الصيغتين فرقًا لغويًا كبيرًا، فالقتل يتضمن معنى ابتداء القتل دون مشاركة من الطرف الآخر، والقتال تحمل الدلالة على المشاركة وعلى هذا فلو أن

الرسول صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قال أمرتُ أن أقتل الناس لكان المستشكلون محقين ولما كان سبيل منطقي للجواب عن إشكالهم بل لما وسعنا الانضمام إلى رأيهم، ولكنه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ إنما قال:«أقاتل» وهذا الوزن مبني للدلالة على المشاركة، أي: يدل على مقاومة المتوجه بالعدوان أو بقصده، أيدل على ما تفهمه من قول الرجل: قاتلت اللص، والمعنى أن اللصّ واجهه بالعدوان فقابله بما يرد به عدوانه، ومعنى الحديث: إن أقبل إلي مسالمين يصغون إلى دعوتي تركتهم آمنوا أو لم يؤمنوا، وإن صدوني عن ذلك ومنعوني إبلاغ رسالة ربي، إذن فسأحاول جاهدًا أن أقابل صدهم بمثله، وإن اقتضى الأمر قاتلتهم على ذلك.

وانظروا كيف يتجلى هذا المعنى بأعلى درجات الوضوح في قول رسول الله لبديل بن ورقاء يوم صلح الحديبية: «إنا لم نجئ لقتال أحد، ولكنا جئْنا مُعتمرين، وإن قريشًا قد نهكتهم الحرب وأضرّت بهم، فإن شاءوا ماددتهم مدة ويخلوا بيني وبين الناس، وإن هم أبوا فو الذي نفسي بيده لأقاتلنهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي، ولينفذن الله أمره ».[1]

٦- يقول العلامة أحمد الحوفي رَحِمَهُٱللَّهُ تعالى: «لم يكن الغرض من الجهاد إجبار أحد على اعتناق الإسلام، فإنه لم يعرف في تاريخ الإسلام كله أن المسلمين اضطروا أحدا إلى أن يسلم، ولقد فتحوا الممالك وحكموها، ولم يحدث قط أن أرغموا كتابيًا أو غير كتابي على أن يدين بالإسلام، بل كانوا المثل الأعلى في رعاية العقائد الدينية، وكفالة

(١) يغالطونك إذ يقولون للبوطي : ص ٢٨١

الحرية لمن خالفوهم في الدين .

لذا لم يكن عجبًا أن رحب بهم سكان المستعمرات الرومانية وغيرها لينقذوهم من عسف الحكام، ومن الاضطهاد الديني، وحسبنا أن نشير إلى ما سجله تاريخ مصر قبل الفتح العربي من اضطهاد ديني كثر فيه شهداء المسيحية، وصرعى الاستبداد الروماني .

وكيف يكون الغرض من الجهاد الإجبار على الإسلام، ونبي الإسلام مخاطب بقوله تعالى:« لست عليهم بمسيطر» وبقوله:«ما على الرسول إلا البلاغ »، وبقوله: «ادع إلى سبيل ربك .....»، وبقوله: «فإنما عليك البلاغ»، وقوله:« لا إكراه في الدين»، وقوله: «أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين»، وقوله:«قل يا أيها الناس قد جاء الحق من ربكم ...»[1]

٧- وقال ابن كثير في تفسير قول الله تعالى: {وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ} أَيِ: اعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ، وَاحْتَمِلْ أَذَاهُمْ، حَتَّى يَفْتَحَ اللَّهُ لَكَ وَيَنْصُرَكَ وَيُظْفِرَكَ عَلَيْهِمْ. وَاعْلَمْ أَنَّ لِلَّهِ حِكْمَةً فِي إِضْلَالِهِمْ، فَإِنَّهُ لَوْ شَاءَ لَهَدَى النَّاسَ كُلَّهُمْ جَمِيعًا [وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى][4]

{وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا} أَيْ: بَلْ لَهُ الْمَشِيئَةُ وَالْحِكْمَةُ فِيمَا يَشَاؤُهُ وَيَخْتَارُهُ، لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ[2]

(١) سماحة الإسلام للدكتور أحمد محمد الحوفي ص :١٥٦ طبعة نهضة مصر ١٩٩٨م

(٢) تفسير القرآن العظيم : (٣/ ٣١٤).

الحديث الثالث

حديث ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: " بُعِثْتُ بِالسَّيْفِ حَتَّى يُعْبَدَ اللهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي، وَجُعِلَ الذِّلَّةُ، وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي، وَمَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ "[1]

٢- **الفهم المنحرف:**

وهذا الحديث يستدل به المنحرفون عن المنهج الصحيح على أعمال القتل والتخريب وقطع الرؤوس في كل عمل إجرامي .

***الفهم الصحيح:**

١- قد فهم علماء الحديث فهَما صحيحًا منضبطًا فلم يقتلوا ولم يخرجوا على الناس من غير المسلمين بالسيف لإراقة الدماء وإزهاق الأرواح

قال ابنُ حجرٍ في الفتحِ: قَوْلِهِ " تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي " إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ ظِلَّهُ مَمْدُودٌ إِلَى أَبَدِ الْآبَادِ، وَالْحِكْمَةِ فِي الِاقْتِصَارِ عَلَى ذِكْرِ الرُّمْحِ دُونَ غَيْرِهِ مِنْ آلَاتِ الْحَرْبِ كَالسَّيْفِ أَنَّ عَادَتَهُمْ جَرَتْ بِجَعْلِ الرَّايَاتِ فِي أَطْرَافِ الرُّمْحِ ؛ فَلَمَّا كَانَ ظِلّ الرُّمْح أَسْبَغَ كَانَ نِسْبَةُ الرِّزْقِ إِلَيْهِ أَلْيَقَ، وَقَدْ تَعَرَّضَ فِي الْحَدِيثِ الْآخَرِ لِظِلِّ السَّيْفِ كَمَا سَيَأْتِي قَرِيبًا مِنْ قَوْلِهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ " الْجَنَّةُ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ " فَنُسِبَ الرِّزْقُ إِلَى ظِلّ الرُّمْح لِمَا ذَكَرْتُهُ أَنَّ الْمَقْصُودَ بِذِكْرِ الرُّمْحِ الرَّايَةُ، وَنُسِبَتْ الْجَنَّة إِلَى ظِلِّ السَّيْفِ ؛ لِأَنَّ الشَّهَادَةَ تَقَعُ بِهِ غَالِبًا، وَلِأَنَّ

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٥١١٤) والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٢٣١) بسند ضعيف.

ظِلّ السَّيْفِ يَكْثُرُ ظُهُورُهُ بِكَثْرَة حَرَكَة السَّيْفِ فِي يَدِ الْمُقَاتِلِ ؛ وَلِأَنَّ ظِلّ السَّيْف لَا يَظْهَرُ إِلَّا بَعْدَ الضَّرْبِ بِهِ لِأَنَّهُ قَبْلَ ذَلِكَ يَكُونُ مَغْمُودًا مُعَلَّقًا . اهـ

٣- فالرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بعث بالسيف ليدفع عن من أراد أن يدخل في دين الله تعالى فظُلم من أجل دخوله في الدين فجاء الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ليدفع عنه الظلم الذي وقع عليه، وليرُدّ الحيف عن المظلوم، ويحقق العدل الذي سيرفضه حتمًا كثير من الناس .

٤- وليس معنى الحديث أنه بعثت بالسيف أي لقتل من لم يسلم ويؤمن بالله تعالى ؛ لأن هذا الحديث لا يمكن أن يفهم إلا في ضوء النصوص الأخرى مثل قوله تعالى: {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ} [البقرة: ٢٥٦]، وقوله تعالى: { وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا **أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ** } [يونس: ٩٩] .

٥- وقوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ «وجعل رزقي تحت ظل رمحي» إشارة إلى أن الرزق والعيش لا يكون إلا في وجود الأمن والاستقرار فهما مرتبطتان ارتباطًا وثيقًا، وقد بين الحق سبحانه ارتباطهما في تحقيق الحياة الرغيدة في سورة قريش، قال تعالى: لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ (١) إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (٢) فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ (٣) الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ (٤).

فقد امتن الحق سبحانه وتعالى على قريش بهاتين النعمتين وهما نعمة الإطعام والرزق ونعمة الأمن والأمان، والتي لا راحة ولا طمأنينة إلا بتحقيقهما .

٦- و(حتى) الموجودة في الحديث ليست تعليلية بل هي للغاية، أي إن بعثته عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بالسيف ؛لمدافعة من يحارب الدعوة لغاية شريفة وهي نشر هذا الدين، ولهذا نقل عن مُجَاهِدٍ: لَا يُقَاتَلُ إِلَّا مَنْ قَاتَلَ[1]

هذا على فرض صحة الحديث ومن حيث ما يتناسب مع مقاصد الشريعة والنصوص الأخرى في هذه المسألة .

٧- وإلا فالحديث ضعيف ضعفه عدد من العلماء منهم الشيخ الراحل شعيب الأرنؤوط في تخريجه لمسند الإمام أحمد،وبين سبب ضعفه فقال:وهذا إسناد فيه **ثلاث علل**:

الأولى: تفرد الوليد بن مسلم بهذا الطريق، فرواه عن الأوزاعي، عن حسان بن عطية، وخالف بذلك جمعاً من الشيوخ حيث رووه عن عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان عن حسان بن عطية، كما مر آنفاً، ثم إن الوليد يدلس تدليس التسوية، وهو هنا لم يصرح بصيغة السماع بين الأوزاعي وبين حسان بن عطية، والأوزاعي قد لقي عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان وكاتبه، فلعله سمعه منه فدلسه الوليد وأسقط ابن ثوبان، والله أعلم.

الثانية: أن أبا أمية الطرسوسي شيخ الطحاوي له أوهام إذا حدث من حفظه،قال ابن حبان في "الثقات(١٣٧/٩): كان من الثقات، دخل مصر فحدثهم من حفظه من غير كتاب بأشياء أخطأ فيها، فلا يعجبني الاحتجاج بخبره إلا ما حدث من كتابه. قلنا: والطحاوي إنما أخذ عن أبي أمية بمصر، وهو هنا قد سمى شيخه محمد بن وهب بن عطية، والذي حدث بمصر عن

(١) تفسير القرآن العظيم :(٥٢٦/١).

الوليد بن مسلم وغيره هو محمد بن وهب بن مسلم القرشي الدمشقي، وهو ضعيف منكر الحديث، والأول صالح الحديث، وأما ابن عدي وابن منده، فقد ذكرا أن محمد بن وهب بن عطية منكر الحديث، كذا قالا، ولعلهما أرادا ابن مسلم القرشي الدمشقي قوهما في اسمه، وكلاهما ذكرت له رواية عن الوليد بن مسلم. انظر"ميزان الاعتدال" ٦١/٤، و"تاريخ دمشق"لابن عساكر ٩٤/١٦-٩٥.

الثالثة: الاضطراب الذي وقع فيه على الأوزاعي، فقد روي عنه هكذا كما هو عند الطحاوي.

وروي عنه، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذكره ابن أبي حاتم في "العلل"٣١٩/١، وقال عن أبيه، عن دحيم (وقع في أصله: أبي دحيم، وهو خطأ، ودحيم: لقب لعبد الرحمن بن إبراهيم الدمشقي): هذا الحديث ليس بشيء، الحديث حديث الأوزاعي، عن سعيد بن جبلة، عن طاووس، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يعني مرسلاً.

قلنا: كأن دحيماً وأبا حاتم يريان أن المحفوظ عن الأوزاعي هي الرواية المرسلة لا غير، ولهذا المرسل الذي أشار إليه دحيم خرَّجه ابن أبي شيبة في "مصنفه (٣٢٢/٥)، وعلى إرساله فقد حسن الحافظ ابن حجر إسناده في "الفتح: (٩٨٠/٦)، فهذه العلل الثلاثة مجتمعة لا يمكن معها تقوية الحديث المرفوع بمتابعة الأوزاعي لعبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان، والله تعالى أعلم.اهـ كلام الشيخ الأرنؤوط رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى.

الحديث الرابع

٤- حديث سيدنا أَنَس، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَالَ: «جَاهِدُوا الْمُشْرِكِينَ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَأَلْسِنَتِكُمْ»(١)

*الفهم المنحرف:

فهموا من هذا الحديث المبادرة بقتل غير المسلمين وإبادتهم والقيام بالأعمال الانتحارية وغيرها تطبيقا لهذا الحديث .

*الفهم الصحيح:

وهذا فهم منحرف لأن هذا النص لابد أن يعمل به في ضوء النصوص الأخرى فهم يفهمونه على قاعدة(ولا تقربوا الصلاة) بدون مراعاة النصوص الأخرى الواردة فكأنه ينظر إلى النص بعين واحدة، وهذا الحديث المقصود به حالة وقوع الحرب بين المسلمين بعدما استحال وقوع السلام وحينئذ يقوم المسلمون برد العدوان وفي ساحة القتال فلا بد من استفراغ الوسع والجهد في دفع هؤلاء المعتدين بالنفس والمال .

ولذلك يذكر الإمام السبكي(المتوفى ت٧٥٦هـ) في الفتاوى أن قوله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لعلي لما وجهه إلى خيبر: «لأن يهدي الله بك رجلًا واحدًا خير من حمر النعم، فرأينا قوله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ذلك في هذه الحالة يشير إلى أن المقصود بالقتال: إنما هو الهداية . والحكمة تقتضي ذلك؛ فإن المقصود:

(١) أخرجه أبو داود في سننه (٢٥٠٤) ، والنسائي في المجتبى (٣٠٩٦). عن أنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ .

هداية الخلق ودعاؤهم إلى التوحيد وشرائع الإسلام، وتحصيل ذلك لهم ولأعقابهم إلى يوم القيامة، فلا يعدله شيء . فإن أمكن ذلك بالعلم والمناظرة وإزالة الشبهة، فهو أفضل، ومن هنا نأخذ: أن مداد العلماء أفضل من دم الشهداء . وإن لم يمكن إلا بالقتال، قاتلنا إلى إحدى ثلاث غايات: إما هدايتهم، وهي الرتبة العليا، وإما أن نستشهد دونهم، وهي رتبة متوسطة في المقصود، ولكنها شريفة لبذل النفس، فهي من حيث بذل النفس التي هي أعز الأشياء أفضل، ومن حيث إنها وسيلة لا مقصود مفضولة، والمقصود إنما هو إعلاء كلمة الله تعالى، وإما قتل الكافر وهي الرتبة الثالثة، وليست مقصودة ؛ لأنها تفويت نفس يترجى أن تؤمن، وأن تخرج من صلبها من يؤمن، ولكنه هو الذي قتل نفسه بإصراره على الكفر)).[1]

ولذلك يذكر الإمام السبكي(المتوفى ت٧٥٦هـ) في الفتاوى أن قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعلي لما وجهه إلى خيبر: «لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير من حمر النعم»، فرأينا قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذلك في هذه الحالة يشير إلى أن المقصود بالقتال: إنما هو الهداية . والحكمة تقتضي ذلك ؛ فإن المقصود: هداية الخلق ودعاؤهم إلى التوحيد وشرائع الإسلام، وتحصيل ذلك لهم ولأعقابهم إلى يوم القيامة، فلا يعدله شيء . فإن أمكن ذلك بالعلم والمناظرة وإزالة الشبهة، فهو أفضل، ومن هنا نأخذ: أن مداد العلماء أفضل من دم الشهداء . وإن لم يمكن إلا بالقتال، قاتلنا إلى إحدى ثلاث غايات: إما هدايتهم، وهي الرتبة العليا، وإما أن نستشهد دونهم، وهي رتبة متوسطة في المقصود، ولكنها شريفة لبذل النفس، فهي من حيث بذل النفس التي هي أعز

(١) فتاوى السبكي (٢/٣٤٠).

الأشياء أفضل، ومن حيث إنها وسيلة لا مقصود مفضولة، والمقصود إنما هو إعلاء كلمة الله تعالى، وإما قتل الكافر وهي الرتبة الثالثة، وليست مقصودة ؛ لأنها تفويت نفس يترجى أن تؤمن، وأن تخرج من صلبها من يؤمن، ولكنه هو الذي قتل نفسه بإصراره على الكفر))[1]

(١) المصدر السابق (٢/٣٤١)

نموذج من أحاديث الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

فهم بعض المتطرفين والمنحرفين بعض الروايات التي وردت في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن تطبيقه من حق الأفراد والأشخاص وأنه ينبغي تغيير المنكر باليد بحجة أنهم ينقذون المجتمع من هذه المنكرات والفواحش، وأنهم بهذا يطهرون المجتمع من الرجس والفسق والرذيلة .

ومن هذه الأحاديث التي ظلمت وفهمت خطأ:

* **حديث أبي سعيد الخدري «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَان .أخرجه مسلم في صحيحه (٤٩) .**

الفهم المنحرف:

فتوهموا خطأ أنه يجب إزالة المنكرات باليد وأنها الأفضل من وجهة نظرهم فالأخذ بالأشد فيه من الردع والزجر الذي يحول دون وقوع المنكرات، وأنه من أعلى رتب الإيمان فقاموا بتغيير الأخطاء في المجتمع بالتخريب والهدم والتفجير يظنون بذلك أنهم يُحسنون صنعًا وفي الحقيقة أنهم قد أساءوا للدين بفهمهم المنحرف المتطرف

الفهم الصحيح:

يقول الإمام القرطبي وكأنّه يرد على جهلهم، وسوء فهمهم: الأمر بالمعروف باليد على الأمراء، وباللسان على العلماء، وبالقلب على الضعفاء،

يعني عوام الناس.[1]

بل قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب على الكفاية باتفاق المسلمين، وكل واحد من الأمة مخاطب **بقدر قدرته**، وهو من أعظم العبادات، **ومن الناس من يكون ذلك لهواه، لا لله**.

وليس لأحد أن يزيل المنكر بما هو أنكر منه: مثل أن يقوم واحد من الناس يريد أن يقطع يد السارق، ويجلد الشارب، ويقيم الحدود؛ لأنه لو فعل ذلك لأفضى إلى الهرج والفساد؛ لأن كل واحد يضرب غيره ويدعي أنه استحق ذلك؛ فهذا مما ينبغي أن يقتصر فيه على ولي الأمر المطاع كالسلطان ونوابه. وكذلك دقيق العلم الذي لا يفهمه إلا خواص الناس.[2]

* بل تجد بعضهم يُعضِّدُ فَهْمهُ هذا بحديث آخر انحرف أيضا في فهمه، **وهو حديث:**

طَارِق بن شِهَابٍ، أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَدْ وَضَعَ رِجْلَهُ فِي الْغَرْزِ: أَيُّ الْجِهَادِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: " كَلِمَةُ حَقٍّ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ "

والمفهوم الصحيح من هذا الحديث هو بيان أن أفضل درجات الجهاد عدم الخشية من قول الحق والنصيحة للإمام والوعظ والتذكير بالحسن من القول .

أما الخروج على الحكام وإحداث الفتن والقلاقل فهذا ما لم يفهمه

(١) الجامع لأحكام القرآن (٤/٤٩) .

(٢) المستدرك على مجموع الفتاوى : (٣/ ٢٠٣) جمع محمد بن عبد الرحمن بن قاسم. .

أحد من أهل العلم فقد قال الثوري ومالك بن أنس (سلطان جائر سبعين سنة خير من أمة سائبة ساعة من نهار)[1]، وهذا يدل على أن المحافظة على استقرار الوطن والحفاظ على أمنه فرض لازم .

(١) ترتيب المدارك (٣/٣٢٦) .

الخاتمة

وبعد فهذه ورقات لحصر أهم الروايات والأحاديث التي يستدل بها المتطرفون والتي أنتجت سلوكا وتصرفا يتناقض مع رحمة الإسلام وسماحته ولذا فإن إزالة اللبس وبيان الصواب لهذه الروايات بات أمرًا ضروريًا حتى لا يتفاقم الخطر .

وهناك عدد من الأحاديث الأخرى التي تمثل فروعًا فقهية و ليست من الأصول الفكرية مثل استدلالهم على فرضية النقاب واللحية وهي مع كونها مسائل فقهية فرعية إلا أنها أصبحت جزءا من مفهوم التدين، وقد صدرت عدة دراسات في بيان هذه المفاهيم مثل كتاب بيان للناس من الأزهر الشريف، وفتاوى دار الإفتاء المصرية وغيرهما.

وهذه أهم التوصيات:

١- ضرورة جمع الأحاديث الواردة في الجهاد وشرحها بصورة شاملة حتى يستطيع القارئ الفهم المستنير لأحاديث القتال في ضوء مقاصد الشريعة.

٢- ضرورة رصد هذه المفاهيم الخاطئة وإصدار نشرات على صورة مطويات لتوعية الجماهير بها .

٣- العمل على تأصيل المفاهيم الصحيحة في وسائل الإعلام وعلى صفحات التواصل الاجتماعي واستغلال كافة الوسائل المتاحة لتوضيح الصورة الصحيحة للنصوص الشرعية .

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

فهرس الموضوعات

الموضـــــــوع	الصفحة
تقديم	١٩٣
أسباب الخلل في فهم نصوص الحديث الشريف إجمالًا	١٩٧
المبحث: أهم ملامح التطرف الديني من قبل الجماعات المتشددة نتيجة الفهم السقيم للأحاديث النبوية	٢٠٢
نماذج لبعض النصوص التي فهمت خطأ وتسببت في عدم الاستقرار المجتمعي	٢٠٨
الخاتمة	٢٣١